Asia Middle East Forum
Asya ve Orta Doğu Formu
منتدى آسيا والشرق الأوسط

أبرز المقومات للتقارب العربي الصيني

القضية الفلسطينية "نموذجًا"

داود إبراهيم ذيب عبدالله
محاضر للثقافة العربية وباحث في قسم دراسات الشرق الاوسط
جامعة صون يات سن - الصين

وحدة الدراسات والأبحاث
منتدى آسيا والشرق الأوسط

2022

خطوة جديدة في مشوار قديم

ملخص الدراسة

لعل المتابع للتاريخ سيرى أن العلاقات الصينية العربية قديمة جداً حيث تعود إلى ما قبل الإسلام، وفي ظل هذه الأحداث والتطورات التي يشهدها العالم، لعله حريٌ بنا أن نتساءل؛ هل العلاقات بين الطرفين مجرد علاقات عابرة؟ أم هناك مقومات بين الطرفين تجعل هذه العلاقة مختلفة عن أي علاقة عادية؟

هذا ما دفع الباحث لدراسة هذه المقومات وجعلها في ثلاثة محاور، التاريخ والثقافة والمستقبل، وبما أن الباحث يقيم في الصين ويدرس في كبرى جامعات الصين، وله إلمام جيد بالثقافة الصينية وتاريخ الصين، لذلك جعل بحثه استقرائياً لما رأى وشاهد وقرأ، وتحليلاً بعد ذلك لهذه المعلومات من خلال خبرته التي اكتسبها.

وبما أن القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للعالم العربي، ركز الباحث على المقومات الخاصة بها وقد توصل الباحث لعدة نتائج منها أن عوامل التقارب كثيرة بين الطرفين أهمها التاريخ، وأما بالنسبة للقضية الفلسطينية بشكل خاص فكل من الطرفين يدعو لعدم الظلم وأخذ الحقوق و يدعو للحرية، وفي الختام يرجو الباحث أن يكون قد وُفِّق لإظهار بعض جوانب التقارب التي ستكون لبنة لتطوير العلاقات بين الجانبين .

مقدمة

في ظل هذه الظروف الصعبة التي يعيشها العالم الآن ووجود أحادية القطب بعد انتهاء الحرب الباردة، أصبحت الكثير من الدول وكثير من الأمم تحاول أن تتوحد مع بعضها وأن تلتقي وتتقارب في ما بينها، فالأمة العربية كغيرها من الأمم تبحث عن من تتقارب معه، والسؤال هنا؛ هل هناك مقومات للتقارب بين الدول العربية والصين ؟ ونسأل السؤال بشكل أعمّ، **هل يوجد بين الثقافة العربية والثقافة الصينية مقومات للتقارب؟**

يرى الباحث أن عوامل التقارب كثيرة بين الثقافة العربية والصينية، كما يرى أن محاورها تتركز في التاريخ والذي سيتناوله الباحث بالتفصيل، ثم الثقافة، ثم الوضع الراهن الذي يحث ويساعد على هذا التقارب، وهذه الأمور الثلاثة هي من أهم عوامل التقارب التي يراها الباحث.

بالإضافة إلى أن هذا البحث سيتطرق لذكر بعض المعوقات التي تؤخر هذا التقارب، وسيقترح بعض الحلول التي ستكون سبباً لتسريع هذا التقارب، وسيقسم الباحث هذا المقال إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة ونتائج؛ المبحث الأول عن التاريخ، المبحث الثاني عن الثقافة، المبحث الثالث عن الوضع الواقع و المبحث الرابع عن المعوقات ثم الخاتمة النتائج.

أولاً: التاريخ

نبدأ في التاريخ والذي أرى أنه من أهم المقومات، فالأمم تقاس باعتنائها بتاريخها، والأمة التي تعتني بتاريخها سيكون لها حاضرها المميز، وإذا نظرنا إلى التاريخ العربي والتاريخ الصيني فسنجد أن هناك علاقات متميزة، فقد بدأت العلاقات العربية الصينية منذ القدم، فقيل أنها بدأت من العصر الأموي وقيل من العصر العباسي وقيل أنها كانت قبل الإسلام

وذكر أحد المؤرخين الصينيين أن العلاقات غير الغير رسمية والتي تعني معرفة العرب بالصينيين قد بدأت قبل الإسلام، وذلك لأن العرب كانوا يتاجرون في الشام والعراق، بالإضافة إلى وصول بعض العرب إلى بلاد فارس (إيران) .

وفي المقابل كان بين الصينيين و الفرس تجارة، فكان يتم اللقاء في تلك المناطق، وكان العرب يسمعون بالصينيين والصينيين يسمعون بالعرب، وكان هناك إمكانية اللقاء كما ذكر أحد المؤرخين الصينيين في تلك المناطق، كما أن هناك حكمة مشهورة عند العرب وهي اطلبوا العلم ولو في الصين، وهذه حكمة قديمة فلعل العرب عرفوا الصينيين قديما حتى أطلقوا هذه الحكمة وكانوا يقصدون هنا بعد المسافة والاجتهاد.

أما العلاقات الرسمية مع الدولة الإسلامية؛ فهناك عدة آراء من أقواها أنها بدأت في العصر العباسي بإرسال المسلمين رسل إلى إمبراطورية الصين، كذلك أرسلت الصين الرسل إلى الدول العربية ، وكانت بداية العلاقات أيضا من خلال الرحالة، ثم استمرت العلاقات العربية الصينية وكانت هذه العلاقات حميمة. وكان هناك رحالة وتبادل زيارات بين العرب وبين الصين، وأيضا قيل أن العلاقات كانت من عصر الخليفة الراشد عثمان بن عفان، وذكرت بعض المصادر أن ملك الفرس طلب من أحد إمبراطوريات الصين أن يساعده في حربه ضد المسلمين ولكنه اعتذر بأدب.

واستمرت العلاقات في العصر الأموي ثم العصر العباسي ثم العصر المملوكي وحتى العصر العثماني، إذاً لا نستطيع أن نحدد وقت دقيق لبداية العلاقات العربية الصينية لكنها قديمة، فقيل أنها في العصر العباسي بدأت بشكل رسمي، وقيل أنها في العصر الراشدي ولكن تبلورت العلاقة بشكل رسمي كبير في العصر العباسي أو نهاية العصر الأموي، وفي كل العصور الإسلامية استمرت العلاقة الطيبة.

طبعا العلاقة كانت تتفاوت في قوتها بين القوية والمتوسطة والفاترة أحياناً، والمتتبع للتاريخ بين العلاقة العربية والصينية يجد أن هذه العلاقة لم تبنى على شوائب أو كوارث أو مشاكل، فخلال هذه العلاقات الطويلة لا يوجد حروب ثأر أو نزاعات على منطقة معينة أو نزاع ديني أو مشكلة كبيرة بين العرب والصينيين. لكن حدثت بعض الأمور البسيطة و لم تكن بمثابة توتر العلاقات بين الدولتين، إنما كانت العلاقات تشوبها بعض الشوائب القليلة، وهذا يدفعنا للقول بأن التاريخ العربي والتاريخ الصيني هو من أبرز المقومات التقارب بين العرب والصين، فهو يهيء لنشوء علاقة متميزة، لأننا اذا نظرنا إلى تاريخنا وجدناه تاريخ نقي ليس فيه حقد أوغل ولا ثأر أو نزاعات موروث كابراً عن كابر، وهذا ما يهيئ ويؤهل أن يُسجل في التاريخ العربي والصيني أن تكون بينهم علاقة مميزة.

ثانياً: الثقافة

الثقافة من الأمور المهمة ، والعرب تمتد ثقافتهم قبل الإسلام ولكنّ ثقافتهم تبلورت بعد الإسلام وأصبحت الثقافة العربية والإسلامية هي جزء واحد، ولكن الثقافة العربية لم تبدأ في الإسلام فقد كانت مستمرة قبل الإسلام وكانت مستمرة لعقود طويلة ، والعرب هم أهل ثقافة عريقة، ولكن هذه الثقافة كان يشوبها بعض السلبيات فأتى الإسلام وهذب هذه الثقافة، وانصهرت هذه الثقافة في الإسلام فأصبحت تسمى الثقافة العربية والإسلامية وكأنها شيء واحد. والثقافة الصينية ثقافة عريقة، فهي ثقافة الخمس الآلف سنة والصينيون شعبٌ يهتم بثقافته ولا ينفك الصيني عن ثقافته مهما وصل إلى أي منصب كان لا ينفك عن ثقافته، والذي يعيش مع الصيني يعرف كم هم شعب يحترمون ثقافتهم.

والحقيقة الأمة التي لها ثقافة تستحق الاحترام، فلقد استفاد العرب من الثقافة الصينية وأخذوا منهم كثيراً من الفنون. وهي ثقافة عريقة كما ذكرنا فأخذ العرب منهم الكثير من الفنون بالإضافة إلى صناعة الخزف والطب وصناعة البارود، فالصينيون مشهورون بصناعة البارود والورق فأخذ العرب صناعة الورق، وقيل أنه قام العرب بجلب مجموعة من الصناع من الصين ونقلوهم إلى بغداد وبدأو بصناعة الورق فأحدثوا نهضة في صناعة الورق، وكان لانتقال صناعة الورق إلى العرب نهضة كبيرة، فقد كان العرب تلك المرحلة في أوج نهضتهم العلمية وذروة نشاطهم العلمي في كافة العلوم، والصينيون أيضا استفادوا من العرب في أمور كثيرة، فأخذوا منهم علم الفلك فقد كان العرب يتميزون في علم الفلك، لأنهم أخذوه من اليونان وترجموا كتبهم وطوّروا عليه، كما استفاد الصينيون من علم الرياضيات، و واستفادوا أيضا من التقويم الهجري وعلم الفلك بشكل كبير و استخدموه لسنوات طويلة.

هناك أمور مشتركة بين الثقافة العربية والثقافة الصينية، ومن عرف الصينيين وعاش بينهم وجد احترام الكبير.

الأمة العربية في ثقافتها هذا القول: مازال في أمتي خير ما دام صغيرُها يحترم كبيرَها و كبيرُها يعطف على صغيرها، أي ما تزال الأمة في خير ما احترم صغيرها كبيرها وعطف صغيرها على كبيرها، والصينيون عندهم احترام الكبير من الأمور المهمة، فعندما تتجول في الصين وتركب الباص وتمشي في الشارع تجد كيف يحترم الناس كبير السن، وهذه من الأمور المشتركة بين الثقافة العربية والثقافة الصينية، كما ويحترم الصينيون الأسرة ويقدرونها، فالأسرة لها مكانة عندهم، كذلك العرب يحترمون الأسرة فهي أساس المجتمع.

الصينيون يحترمون المعلم، فالمعلم له مكانة، وهذه من أسرار نجاح الصين ونهضتها، وهذا شاهدته بنفسي لأني عملت معلماً ومازلت أعمل معلماً في إحدى كبرى الجامعات، وهذه أيضا من القواعد الأساسية عند العرب، حيث أن أعظم شخص عند العرب هو النبي محمد عليه الصلاة والسلام كان معلما، والمعلم إنسان عظيم عند العرب وهذه أيضا من الأمور مشتركة بين الثقافتين .

العرب لا يرون أنفسهم أفضل من الناس، وعندهم قاعدة لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. يعني التمايز بالأخلاق، والعرب ليس بينهم عنصرية، ولا يرى العرب نفسهم شعب الله المختار، وأيضا الصينيين لا يرون أنفسهم أفضل من الناس وليس شعباً عنصرياً بل هم بسطاء ويتقبلون الآخر، وهذا أيضاً عامل مشترك.

وقد عشت بينهم لسنوات وأدركت ذلك فهم ليس في ثقافتهم شيئا من العنصرية أو أنهم أفضل من غيرهم بل هم يرون أنفسهم كغيرهم، ولا يرون أنفسهم مميزين عن غيرهم مع أنهم شعب مجتهد.

الآن سنتكلم عن الجانب الثالث بعد أن تكلمنا عن الثقافة فيها أمور كثيرة واذكر أمر مهم بالنسبة للثقافة وهي كلمة للدكتور زغلول النجار عندما زرته قبل سنوات وعرف أني في الصين ،وقال لي أن يجب أن نهتم بالشعب الصيني، ويجب على العرب تقوية العلاقة مع الشعب الصيني، وذلك لأن الشعب الصيني ليس بيننا وبينهم عداء تاريخي، بل شعب صديق لنا عبر التاريخ، ففرصتنا هي إقامة العلاقات المميزة، والحقيقة أنه عندما عدت إلى الصين وتأملت كلام الدكتور حفظه الله ورعاه فوجدته تكلم كلاما عميقاً.

ثالثاً: الواقع

الواقع نقصد به الواقع الحالي الذي يشمل أحادية القطب، كما هو معلوم قبل سنوات كانت ثنائية القطب وأيام الحرب الباردة، القطب الأمريكي والقطب الروسي، ورغم قوة الروس الآن وبعض الدول الأخرى لكن الهيمنة الأمريكية والسيطرة الأمريكية تظهر على السطح، ونستطيع القول بأنها أحادية القطب، والآن الدول العربية عانت من هذه أحادية القطب كثيرا وعلى رأس المعاناة القضية الفلسطينية، فلقد ظهر تحيز أمريكي أحادي القطب ضد القضية الفلسطينية، فقد كان أيام ثنائية الأقطاب يوجد دعم روسي بشكل مباشر او غير مباشر للقضية الفلسطينية وللعرب بشكل عام،

لكن هذا الدعم قد انتهى وذهب مع وجود أحادية القطب الأمريكي لوحدها، وأصبحت تتميز بانحيازها للجانب الإسرائيلي وعدم إنصافها للقضية الفلسطينية، بالإضافة الى المواقف العديدة وتدخلات كثيرة في الدول العربية مثل تدخلها في العراق وما حصل في العراق، وتدخلها في بلاد كثيرة، وأهم تأثير تركته هو موقفها من القضية الفلسطينية.

وأما الجانب الصيني فقد عانى من أحادية القطب، فأميركا لا تريد للصين أن تتميز، كون الصين من أقوى القوى الاقتصادية، فالصين بدأت قبل سنوات طويلة بنهضتها من أول تأسيس جمهورية الصين. والصين نهضت بخطوات وقفزات كبيرة.

وكان هناك تميز في فترة الإصلاح والانفتاح، كما كانت نقلة نوعية في السياسات الصينية والانفتاح على العالم.

لقد تميزت الصين وقفزت قفزات سريعة و هذا أمر معروف ويعرفه القاصي والداني، وهذا ما أزعج الجانب الأمريكي فالصين أصبحت منافسة له، لذلك أصبح يضايق ويتحرش كعادته.

الجانب الأمريكي يحاول أن يدعم أي انفصالي أو شخص يحاول أن يؤثر على الاستقرار في بلد معين، فكان الأداء الامريكي الحكومي ليس جيداً، وضغوطاته وما يعمله حقيقة في الصين، لذلك الصين والعرب وخاصة القضية الفلسطينية عانوا من الهيمنة، فلذلك ينبغي لهما بل يجب أن يتقاربا ويتحالفا حتى يستطيعا الوقوف في وجه هذا المشروع الأمريكي المسيطر على هذه الهيمنة، خاصة أن الصين كانت لها مبادئ خمسة في التعامل مع العرب تقوم على الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون والمساواة والمنفعة والتعايش السلمي.

الصين لا تنظر للدول العربية كدول استعمارية، بل تنظر لها كدول صديقة وحليفة، والصين لها مشاريع ناجحة حقيقةً في إفريقيا، وقامت بنهضة كبيرة في الاقتصاد الإفريقي، واثيوبيا من اكبر الأمثلة على ذلك.

والدول العربية ترحب بالتعاون مع الجانب الصيني، وهذا نتيجة أن الصين والعرب يعانون من الضغط والهيمنة الأمريكية، لذلك يتوقع العرب أن تقف الصين معهم في قضيتهم العادلة القضية الفلسطينية، التي ظلم العرب فيها، والتي هي قضية إنسانية وليست قضية المسلمين فحسب، والتي هي كذلك أكبر جريمة في التاريخ، أن يهجّر أبناء شعب كامل من بلده ويخرج ويأتي شعب دخيل مكانهم، فما حدث للشعب الفلسطيني هو أكبر جريمة تاريخية.

والشعب الصيني قام على الحرية و دعم الأحرار و دعم كل الأشراف، وثورته التي تم على أساسها تأسيس الجمهورية، كانت هذه من مبادئها، ويأمل الشعب العربي من الشعب الصيني أن يقف معه، والحقيقة أن الشعب الصيني والحكومة قديماً منذ الستينات والسبعينات قد وقفت مع منظمة التحرير الفلسطينية و فتحت بلادها للتدريب والتعاون في البداية فكان هناك علاقات سابقة ولكنها الظروف السياسية هي التي أدت للفتور في هذه المرحلة، وممكن أنه حصل تقصير من بعض الحكومات العربية أدى إلى انقطاع هذه العلاقات.

رابعاً: المعوقات

من أهم المعوقات الي سنتكلم عنها هنا أنه يوجد مشكلة بين الجانب الحكومي والجانب الشعبي، فالجانب الحكومي في كثير من الدول العربية هو يتأثر بالسياسات الأمريكية، لأن الهيمنة في امريكيا هي هيمنة على الدول العربية إما بالقروض أو بالتسليح أو بأمور كثيرة، أما الجانب الشعبي في كل الدول العربية فهو لا يؤيد السياسات الأمريكية، وهذا يعتبر معوق من المعوقات، و هذا المعوق ممكن التغلب عليه بأن تنتبه الصين إلى الكفاءات والنخب الفكرية، وهناك معوق آخر أيضا وهو أن الإسرائيلين استطاعوا تسويق أنفسهم جيداً في الصين، فقد نقلوا قضيتهم على أنها قضية عادلة وسوقوا أنفسهم على أنهم مظلومين وهم المجرمين،

وفشل العرب للأسف في تسويق أنفسهم بالشكل الصحيح، فمنذ سنوات قامت شبكة الجزيرة الإعلامية بفتح قناة تلفزيونية في الصين وهي الجزيرة الناطقة بالصينية، وكان لهذه القناة دور في تعريف الصينيين على القضية الفلسطينية، ولعل بعض القنوات تسلك بعض المسلك حتى تتضح الصورة بشكل أفضل، تلك بعض المعوقات وبعض المعوقات أيضا هو اللغة، فالعرب لا يعرفون الثقافة الصينية بالشكل الصحيح وهذا أيضا معوق. فالصينيون يرون أن اللغة العربية من اللغات الصعبة، والعرب يرون اللغة الصينية من اللغات الصعبة لذلك فهذه من أهم المعوقات.

النتائج

أما عن حل هذه المعوقات؛

أولاً: تأسيس لجان ومؤسسات وغيرها لكي تتواصل مع الجانب الصيني، والجانب الصيني لكي يتواصل مع الدول والحكومات و المؤسسات و النخب الشعبية.

ثانياً: ينبغي أيضاً أن تقام دورات للتعريف بالثقافة الصينية للعرب، وتقام دورات تعريف للصينيين بالثقافة العربية، كما ينبغي أن يتم ترجمة الكثير من الكتب حتى يتعرف الصينيون بالقضية الفلسطينية.

ثالثاً: تأسيس جمعيات؛ جمعية الثقافة العربية الصينية، جمعية الثقافة الفلسطينية الصينية؛ والكثير من الجمعيات المشتركة بين العرب والصينيين، والقضية الفلسطينية والصين والمؤسسات الكبيرة التي تتحدث عن القدس وفلسطين ويجب أن يكون هناك أعضاء من الصينيين.

رابعاً: أن يكون هناك تقارب ثقافي عن طريق فهم الثقافة واللغة، وعن طريق ترجمة الكتب وأيضا فتح مؤسسات عربية في الصين، وفتح مؤسسات صينية في الدول العربية.

هذه الأمور الكثيرة لعلها تجعلنا نتجاوز المعوقات.

من أهم النتائج أن التقارب الصيني العربي له بيئة خصبة التاريخ والثقافة من أهم المقومات العربي الصيني الواقع الحالي الذي يمثل الهيمنة الأمريكية هو من أهم وسائل التقارب هناك بعض المعوقات في التقارب مثل اللغة وعدم قدرة العرب تسويق أنفسهم وتسويق القضية الفلسطينية بشكل صحيح عدم فهم الثقافة الصينية من قبل العرب وعدم فهم الصينين للثقافة العربية هذه المعوقات يمكن ان تحل بعدة أمور منها عمل دورات وعمل مؤسسات والتواصل ، أدعوا الباحثين والإدارات الجامعية بالاهتمام بهذا الموضوع و أوصي الباحثين والمفكرين بعمل محاضرات وندوات أكثر عن هذا الموضوع فهو يستحق.